الصحة وقضية عمود الشعر

The Correctness and the issue of the poetry column

إعداد

إبراهيم الزهراني

Ibrahim Al Zahrani

باحث- كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى - فرع الأدب والبلاغة والنقد

Doi: 10.21608/mdad.2024.339798

استلام البحث ١٥/ ١١ / ٢٠٢٣

قبول النشر ٦/ ١٢ / ٢٠٢٣

الزهراني، إبراهيم أحمد (٢٠٢٤). الصحة وقضية عمود الشعر. ***المجلة العربية مــــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨ (٢٤)، ٧١- ٨٦.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الصحة وقضية عمود الشعر

المستخلص:

يتناول هذا البحث الصحة بوصفها أحد المعايير النقدية التي كانت حاضرة في قضايا النقد الموضوعية والفنية، وأسهمت في تشكيل قيم جمالية تدل على طبيعة الفكر البلاغي والنقدي ومقاييسه، وعلاقة هذا المعيار بقضية عمود الشعر التي تعد من أهم القضايا التي شغلت النقد العربي القديم حيث يمثل معالم النموذج الشعري الذي وضعه الشعراء منذ العصر الجاهلي، و ظل عمود الشعر معيارًا أساسيًا لعدة قرون أدبية، ولم يتحرر الشعراء من قيوده تماما إلا بعد القرن الرابع تقريبا. ويهدف البحث إلى الوقوف على علاقة المعيار وصلته بقضية عمود الشعر التي أنتجته.

الكلمات المفتاحية:

الصحة، عمود الشعر، الوزن، القافية.

Abstract:

This research deals with correctness as one of the critical standards that was present in the issues of objective and artistic criticism, and contributed to the formation of aesthetic values that indicate the nature of rhetorical and critical thought and its standards, and the relationship of this standard to the issue of the poetry column, which is one of the most important issues that preoccupied ancient Arab criticism, as it represents the features of the poetic model that Poets established it since the pre-Islamic era, and the poetry column remained a basic standard for several literary centuries, and poets were not completely liberated from its restrictions until approximately after the fourth century. The research aims to determine the relationship of the standard and its connection to the issue of the poetry column that produced it.

Keywords: **The Correctness - the issue of the poetry column- Rhyme.**

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تقديم:

ارتبط البحث في بلاغة النص الشعري في التراث العربي البلاغي والنقدي بالقيمة، جودة ورداءة، وهذه القيمة بحاجة إلى معيار وازن يدلّ عليها؛ لهذا سعى النقاد والبلاغيون إلى إيجاد معايير نقدية تمكّن الناقد والبلاغيين من ممارسة بحثهما عن القيمة وفق شروط موضوعية، للحكم بجودة النص الشعري أو رداءته.

وقد تم استخلاص تلك المعايير من الشعرية الجاهلية التي تُعدّ نصًا مؤسسًا تشكلت وفق رؤيته المعايير النقدية، ومع مرور الزمن تحولت تلك المعايير إلى معايير ثابتة لا يصح تجاوزها، وإلى ضوابط وقوانين ينبغي مراعاتها، الأمر الذي شكل صعوبة بالغة؛ لأن الشعر بطبيعته وبما أنه عمل إبداعي متجدد هو في تحول دائم، والمعايير الموضوعة يجب أن تكون مواكبة للتحولات التي تفرضها طبيعة الحياة وسيرورة التاريخ، ووعي الإنسان، وإلا ظل الابداع في محله والشعر في خانة ضيقة لا تتجاوز مساحتها أفق الشاعر المحلِّق بحرفه ـ عادة ـ في ملَكوت العالم.

ومن تلك المعايير النقدية التي قننها النقاد والبلاغيُّونَ (معيار الصحة)، الذي كان حاضرًا في قضايا النقد الموضوعية والفنية، وأسهم في تشكيل قيم جمالية تدل على طبيعة الفكر البلاغي والنقدي ومقاييسه الجمالية.

مفهوم الصحة:

اقترن مفهوم الصحة بالصلاح، مقابل اقتران مفهوم البطلان بالفساد، في مختلف ثقافات الأمم والشعوب وتراثها العلمي والفكري، وكان هذان المفهومان المتقابلان (الصحة في مواجهة البطلان أو الفساد) من المفاهيم الأكثر حضورًا وتأثيرًا في التراث اللغوي والبلاغي، والأدبي والنقدي العربي، تماما كما هما مفهومان مركزيان في الوعي الفلسفي والثقافي البشري، وكان منطلق ذلك في تراثنا العربي والإسلامي دينيًا وقوميًا في آن واحد، إذا صح التعبير؛ ذلك أن النص القرآني جاء حاملاً القيم والتعاليم الشرعية التي تتعلق بعبادات مثل: الصلاة، والصيام، والمعاملات تتضمن قواعد تحدد الشروط اللازمة للصحة أو البطلان تجاه حكم شرعي، ولأن العرب بطبيعتهم يحكمون على عروبة أحدهم أو عجمته من خلال لسانه ما إذا كان فصيحا صحيحا، أم كان يلحن ويخطئ، فالصحة معيار مهم لديهم يدخل في العبادات والعقود، ويدخل في اللغة والكلام، وعدم توافره يترتب عليه في نظرهم فساد العبادة أو فساد اللغة، لدرجة أن حدَّ العلماء هذا المعيار بقولهم: "الصحة: موافقة الفعل للشرع، ويقابله: البطلان وهو: مخالف الفعل

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

للشرع"[1].

وهذا التعريف انسحب على جهة الاصطلاح اللغوي أيضا؛ ولا سيما مع كون الصِّحَّةُ في اللغة خلافُ السُّقْمِ، ومعناها هو: "ذهابُ الْمَرَضِ؛ وَقَدْ صَحَّ فُلَانٌ مِنْ عِلَّتِهِ واسْتَصَحَّ؛ قَالَ الأَعشى:

أَمْ كَمَا قَالُوا سَقِيمٌ، فَلَئِنْ ... نَفَضَ الأَسْقامَ عَنْهُ، واسْتَصَحّ
لَيُعِيدَنْ لِمَعَدٍّ عَكْرَها، ... دَلَجَ اللَّيلِ وتأْخاذَ المِنَحْ

يَقُولُ: لَئِنْ نَفَضَ الأَسْقامَ الَّتِي بِهِ وبَرَأَ مِنْهَا وصَحَّ، لَيُعِيدَنَّ لمَعَدٍّ عَطْفَها أَي كَرَّها وأَخْذَها المِنَحَ. وصَحَّحه اللَّهُ، فَهُوَ صَحِيح وصَحاح، بِالْفَتْحِ، وَكَذَلِكَ صَحِيحُ الأَديم وصَحاحُ الأَديم، بِمَعْنًى، أَي غَيْرُ مَقْطُوعٍ، وَهُوَ أَيضًا البراءَة مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَرَيْبٍ"[2].

وخضع منهج النظر في الصحة الشَّعرية منذ نشأته الأولى إلى التركيز على صحة المعنى وجودة العبارة وبلاغة اللفظ المفرد وملاءمته السليمة للمعنى السليم. ثم بدأ التحول باتجاه النظر للفظ المفرد في علاقته بالتركيب ثم انتهى، في مرحلة التأصيل، إلى وضع أصول عامة للإنتاج الشعري عبر التأليف الشمولي وشروط إنتاج النص الأدبي مع ربط كل من اللفظ المفرد والتركيب بهذا التأليف.

هناك إذن تدرج وتطور وتحول عبر مرحلة زمانية تقدر بأربعة قرون تقريبا، وهذا التحول كان يسير نحو بلوغ أوج التطور وهو مرحلة الانسجام النصي أو اكتشاف الأنساق النصية، وقد كانت البدايات تكتفي بدراسة المجزئ والمفكك ريثما بدأت تتحسس الطريق نحو ما به يمكن الربط بين أجزاء ذلك المفكك من أنظمة للكتابة وللخطاب.

الصحة وقضية عمود الشعر

ظل عمود الشعر معيارا أساسيا لقرون أدبية، ولم يتحرر الشعراء من قيوده تماما إلا من بعد القرن الرابع تقريبا، فعلى الرغم من أن الشعرية كانت قد تحرّرت نوعا ما من سجن العروض منذ عهد حازم القرطاجني الذي أضاف عنصر التخييل كمقوم أساسي لتعريف الشعر، من خلال قوله:"الشعر هو الكلام المخيّل المقفى الموزون"،[3]

(١) شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (ت ٧١٦هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، ص ٤٤١.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ ج: ٢، ص ٥٠٧.

(٣) منهاج البلغاء، حازم القرطاجني، ص ٣٢٧.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فإن عبارة "الكلام الموزون المقفى" بقيت المحدد الرئيس لذلك التعريف حتى يومنا هذا، والحق أن حازم كان أكثر النقاد تدقيقا إذ تفطن إلى الفرق بين الشعرية والشعر؛ ولذلك فالتخييل قيمة محددة للشعرية شعرًا ونثرًا معًا، في حين أن التمييز بين الشعر والنثر لا يمكن أن يتم إلا بالمحدد التقليدي المتمثل فيما يسمى بنظام عمود الشعر، وليس أمام الشاعر القديم بالطبع سوى الالتزام بضوابط الوزن والقافية، لأن "الشعر لما كان كلامًا موزونًا يكون الزيادة فيه والنقص منه يخرجه عن صحة الوزن حتى يحيله عن طريق الشعر المقصود مع صحة معناه"(٤) إلا أن هذا الالتزام كثيرًا ما كان يصطدم بإكراهات اللغة التي لا تخضع لعلم العروض وإنما ترجع لعلوم اللغة وعلى رأسها النحو، وهو ما يوقع في مفارقة،"فالشعر ـ حسب هذا التعريف ـ معادلة: يشكل الوزن طرفها الأول، ومعلومَها الظاهرَ، ويشكل المعنى طرفها الذي هو معلوم كالمجهول لبداهته، وكلاهما يقتضي في نظر السيرافي "الصحة": الطرف الأول يشكل خصوصية الشعر التي تميزه عن جنس الكلام: (فبتصرف بسيط في الصياغة يصبح كلامه هكذا: الشعر كلام موزون...). والطرف الثاني يشكل وجه انتماء الشعر إلى الكلام أي الدلالة، وهذا هو الوجه الذي يجعل النحوي يهتم به ولا يهتم بالموسيقى مثلا."(٥) فالشاعر يقع، إذن، أثناء العملية الإبداعية تحت مِسَنّين: مسن الضوابط العروضية ومسن القواعد اللغوية وهو ما يجعل "الأزمة قائمة بين متطلبات الخصوصية النوعية للشعر، الخصوصية التي تميزه عن الكلام، والخصوصية الجنسية التي تجعله من الكلام. الزيادة والنقص تُخرجان عن صحة الوزن، والخروج عن صحة الوزن يحيل عن طريق الشعر"(٦)

نورد هنا وضمن هذا الإكراه العروضي رأيين حول المتنبي: الأول لابن أبي الأصبع والثاني للمعري. والرأيان يتعلقان بالبيت التالي:

يردُّ يدا عن ثوبها وهو قادر ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

واختيارنا لهذا البيت دون غيره لسببين: الأول أنه حظي بتسليط معيار الصحة من طرف ناقدين كبيرين أحدهما أديب كبير محب لأبي الطيب وهو أبو العلاء المعري، والسبب الثاني هو اعتباره من الأبيات النموذجية المعبرة عن ظاهرة بديعية متفردة عن أبي الطيب وهي توزيع المتضادات اللفظية والصوتية والمعنوية بحسب محلات مضبوطة بين شطري البيت.

في الابتداء يذكر ابن أبي الأصبع في إطار الحديث عن الاضطرار الذي يُكْرِه الشاعر على العدول عن استعمال الأجمل في البلاغة فيكون الوزن سببا في النقص

(٤) ضرورة الشعر، السيرافي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٣٤.
(٥) ـ البلاغة العربية، محمد العمري، ص ١٢١.
(٦) المرجع نفسه، ص ١٢١.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

البلاغي. يقول: "لأنا نعلم أن أول ما يقصده المتكلم إخراج معناه في لفظ مساو له، إذ هو خير ضروب البلاغة لكونه وسطها، فإذا اضطر الوزن إلى الزيادة على اللفظ أو النقص منه اضطرارا، فقد عصته المساواة وأطاعه غيرها مما يأتي في كلامه من البديع بعد الزيادة أو النقص الذي استقام بهما الوزن، بشرط أن يكون عدوله عن المساواة إلى غيرها من البديع اضطرارا لا اختيارا".(٧)

وانتهاء، فقد انطلق المعري من قول ابن أبي الأصبع فوضع معيارًا ثنائيًا ليوضح ما إذا كان هذا البيت قد بلغ مرتبة جيدة من حيث الصحة الشعرية أم أنه وقع في العيب. وهذا المعيار هو ثنائية "الطاعة والعصيان" ودلالتها هو ذلك الإكراه الذي يصطدم به الشاعر حين تستعصي عليه ظاهرة بديعية ما فيبحث عن ظاهرة أخرى غيرها تعلن له الطاعة والإذعان. فالأمر يتعلق إذن بعملية اختيار وعدول. فكيف وقع ذلك مع هذا البيت؟

رأى المعري أن المتنبي كان قد افترض في آخر الشطر الأول عبارة "مستيقظ" في مقابل عبارة "راقد" الواردة في الضرب، إلا أنها استعصت عليه بحكم الوزن، "فلم يطعه الوزن فأتى بقادر مكان مستيقظ لتضمنه معناه (...) فقد عصاه الطباق وأطاعه الجناس، لأن بين "قادر" و"راقد" تجنيس عكس". (٨)

بمعنى أن أبا الطيب، من أجل حل مشكلة إكراهات الوزن والالتزام بمعيار الصحة، يحسن التصرف فيما توفرت عليه "شجاعة العربية" بتعبير ابن جني، لكن إعجاب المعري بالمتنبي هو مجرد اعتراف للمتنبي بدرجة جيدة لأن ابن أبي الأصبع رفع تلك الدرجة إلى مستوى الامتياز إذا رأى أن المتنبي لو كان أكثر فطنة لما استعصى عليه شيء إذ "لا شيء عصى أبا الطيب أو أطاعه. فهناك إمكانية أخرى للقراءة تنطلق من استبدال بديل أبي العلاء أو مقترحه "مستيقظ" ببديل ثان يقوم مقامه ويحل الحيز العروضي المتاح بدون مشاكل وهو كلمة "ساهر" أو "ساهد" فيحصل له غرضه من الطباق بالجمع بين ساهر وراقد، ولا يكون عصاه شيء وأطاعه غيره وإنما المتنبي قصد أن يكون في بيته طباق وجناسه، فعدل عن لفظة ساهر وساهد إلى لفظة قادر، لأن القادر ساهر وزيادة، وما كان فيه طباق وجناس أفضل مما ليس فيه سوى الطباق". (٩)

في هذين الرأيين نتبين مدى المعضلة التي تواجه الشعراء في ضبط الملاءمة بين

(٧) خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، ج٢، ص ٣٩٢.
(٨) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع، تحقيق حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، ص ٢٩٠.
(٩) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص ٢٩١.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

شعرية الوزن وشعرية بقية العناصر الأخرى ولا سيما عنصر اللغة والبيان.

معيار الصحة في التعارض بين الوزن والتركيب:

من موجبات الضرورة الشعرية الاضطرار إلى ظاهرة التقديم والتأخير للتراكيب النحوية من أجل تحقيق الانسجام الموسيقي للشعر، والتقديم والتأخير مسألة مشتركة بين القيمة الموسيقية (الوزن) وقيمة الانسجام اللغوي.

يتعلق الأمر بالنسبة إلى التقديم والتأخير ـ أو بالنسبة إلى القلب أيضا ـ "بالخروج عن نسق الكلام نحويا بشكل تتعقد فيه العلاقات فيؤدي ذلك إلى الغموض أو الاستحالة حيث تتبادل الأطراف المواقع فيصير العامل معمولا أو العكس". (١٠)

والتقديم والتأخير هو نوع من أنواع البلاغة أيضًا فضلا عن اعتباره جزء من الدرس النحوي، لأن تأخير فاعل عن مفعوله مثلا أو مبتدأ عن خبره يكون بدافع بلاغي أي أن بلاغة المعنى هي المعيار ولذلك اعتبر من مشمولات علم المعاني. وللتقديم والتأخير شروط كثيرة ليس هذا مجال التوسع فيها، وإنما نشير إلى بعضها مثل التأكيد على المقدم دون المؤخر مثل قولنا: الهدفَ سجلته، إذ قدّم المفعول به لإبراز المعنى الأساس وهو الهدف وتقديمه يكون من أجل وقوعه في السمع أولا من أجل تأكيده الذي ما كنا لنعرف مقصد القول لو بقي الترتيب على حاله في المعيار النحوي حيث نقول: سجلت الهدفّ. فبين المثالين فرق في المعنى المقصود.

بل إن التأويل بالتقديم والتأخير قد يفرضه منطق المعنى نفسه للاستحالة أحيانا مثل قولنا أنجب الولدَ الوالدُ وكذلك في قوله تعالى: "إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ" (١١)

إذ يتعالى الله أن يخشى أحدا أيا كان، ولذلك يستحيل هنا منطقيا الإقرار بالترتيب المعياري لعناصر الجملة الفعلية لفهم المعنى ويتحتم التأويل.

وهكذا نكون بإزاء حالات ثلاث بالنسبة إلى التقديم والتأخير وهي: إكراهات الوزن، والتصرف في نظام المعاني، والاستحالة المنطقية، والشاعر يلتزم بالضوابط التي وضعها له النحاة والبلاغيون حول جواز الضرورة في الحالة الأولى، ويتصرف بحرية في الحالة الثانية بحسب تصرفه في بناء معانيه، ويجبر على التقديم والتأخير في الحالة الثالثة.

وقد شهد القرن الرابع الهجري تضافر عدد من العوامل دفعت بالحركة النقدية إلى الأمام، فكان النقد في هذا القرن من أخصب ما عُرف في النقد العربي كمًّا وكيفًا، وكان الإبداع في هذا القرن هو المحرك الأول للنقد، فقد ظهر أبو تمام والمتنبي وهما من أعظم

(١٠) البلاغة العربية، محمد العمري، ص ٤٣٩.
(١١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

شعراء العربية فاشتغل الناس بهما، وكثر الخلاف حولهما، ما بين مادح وقادح.

وقبلهما كانت المآخذ ترد في سياق المؤلفات على أنها جانب من جوانب النقد لا غنى عن ذكره، فترد اللفظة المعيبة والتركيب الملتوي، والمعنى المفرط، والصورة البعيدة، والنغم المتفاوت، بصورة لا يستشف منها القارئ أن المآخذ كانت تُشكل ظاهرة تستوقف البيانيين كما استوقفتهم في هذا القرن.

حيث كانت المآخذ هناك تُمثل خروجًا محدودًا على المشهور من نظام اللغة، أما المآخذ هنا فقد أصبحت تمثل خروجًا على المشهور من نظام اللغة، وعمود الشعر، فكان أن لاحظ عدد من البيانيين أن الشعر المُحدث -الذي بدأ ظهوره في هذا القرن يُمثل خروجًا على نسق اللغة والفكر معًا.

وإذن فقد اتجه النقد صوب المعنى الجديد يلزمه بالخضوع لأعراف الفن المتوارثة، ممثلة في معايير عمود الشعر التي وضع نواتها اللغويون والنحاة، واتسع فيها الآمدي والجرجاني.

ومن خلال ذلك نُدرك أن فكرة المآخذ نشأت مع الشعر مُنذ ولادته، فقد وجدناها في ملاحظات شعراء الجاهلية، جزئية تقف عند حدود البيت، أو البيتين، لتنتقد كلمة وقعت في غير موضعها، أو معنى أسرف في الإحالة، أو نغمًا أخل باطراد الوزن واتساق إيقاعه، وكانت الملاحظات في هذه الفترة ذوقية غير معللة، قوامها الفطنة وصفاء السليقة، حتى إذا جاء العهد الإسلامي أخذت فكرة المآخذ ترتبط بقيم الدين ومثله الواضحة، فعيبت المعاظلة، وامتدح الرجال بما ليس فيهم.

وكان أبو تمام ظاهرة تناولها النقاد والبلاغيون في نقد هذا القرن -بمخالفته لمعايير عمود الشعر، وخروجه على ما ألفت العرب- فقد أُلِّفت كتب كثيرة تبحث في عيوب شعر أبي تمام وأخطائه في الألفاظ والمعاني، أولها رسالة ابن عمَّار القطربلي في سرقات أبي تمام وأخطائه في الألفاظ والمعاني، وقد حفظ لنا كتابًا الموازنة والوساطة أجزاء من هذه الرسالة.

وعاب على أبي تمام مخالفة استعاراته لمذاهب العرب كقوله:

رقيق حواشي الحلم لو أن حُلمه بكفيك ما ماريت في أنه برد [١٢]

قال ابن عمار: "هذا هو الذي أضحك الناس منذ سمعوه، وإلى هذا الوقت" [١٣]

---

(١٢) ديوان أبي تمام ٨٨/٢.

(١٣) الموازنة بين الطائيين أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، القاهرة، ١٩٤٤م. ص ١٢٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وكشف الآمدي عن موطن الخطأ في البيت فقال: "والخطأ في البيت ظاهر، لأني ما علمت أحدًا من شعراء الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقة، وإنما يوصف الحلم بالعظم، والرجحان والثقل والرزانة ونحو ذلك"(١٤) .

والذي لاشك فيه أن الكثير في وصف الحلم هو العظم والرجحان والرزانة، لكن ما الذي يمنع أن يراه أبو تمام رقيقًا كالبُرد كما رآه ذلك الأعرابي في وصف إسماعيل بن صبيح وخطه.

قال ابن المستوفي: "وجدت في كتاب الخط والقلم تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال: كان هارون معجبًا بخط إسماعيل بن صبيح، فقال لأعرابي: صِفه، فقال: ما رأيت أطيش من قلمه، ولا أثبت من حِلْمه، فقال: اجعل نثرك نظمًا، فقال:

رقيقُ حواشي الحِلْم حينَ تثورُه ... يُريكَ الهُوَيْنى والأمورُ تَطيرُ

يُناجيك عمَّا في ضميرك لَحْظُه ... ويفتح نُجم الأمرِ وهو عسير

له قلمًا بؤسى ونُعمى كلاهُما ... سحابته للحالبين دَرورُ (١٥)

ومع أن رسالة ابن عمار لم تصل إلينا كاملة لنقيم عليها حكمًا دقيقًا، إلا أن لغة السخرية والاستخفاف، تكاد تكون مسيطرة على رؤية ابن عمَّار النقدية ولذلك نجد أن الصولي يكتب "أخبار أبي تمام" ردًّا على ابن عمَّار الذي خالف ليُذكر. قال الصولي: "إن النقد لا يكون بإبراز بعض العيوب والتشهير بالشاعر من أجلها، وإغفال ما له من حسنات كثيرة إزاءها، فكيف إذا كانت تلك العيوب مجتلبة، ونسبة التقصير إلى الشاعر مفتعلة" (١٦).

ولعل أعظم كتاب عرض لمآخذ البيانيين على أبي تمام في الصراع النقدي حول القديم والجديد هو كتاب الموازنة للآمدي، فقد ذكر كثيرًا من عيوب أبي تمام، وبدا متعاطفًا مع البحتري، لكونه يُمثل الرؤية التي تسيطر على الآمدي، وهي الحفاظ على تقاليد القصيدة العربية، وتكاد تنطوي مآخذ الآمدي على أبي تمام تحت أربعة محاور:

١- البناء اللغوي والإيقاعي (١٧).

---

(١٤) المصدر نفسه ص١٢٨.

(١٥) النظام لابن المستوفى نقلًا عن محقق الديوان بشرح التبريزي (٢/٩٠).

(١٦) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس ص١٥٠.

(١٧) الموازنة، مصدر سابق، ص ١٢٥-٢٢٥-٢٥٨-٢٦٩، ٢٦٩-٢٧٢.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وذلك بأن تكون ألفاظهم لم توضع في أماكنها اللائقة بها، أو لم تدل دلالة صريحة على معانيها، أو أن تراكيب القصيدة تختص ببعض الإشكالات الأسلوبية التي يغمض بسببها المعنى، ويتعسر الفهم، أو أن تكون إيقاعاته مختلة البناء.

٢- إيجاد علاقات جديدة بين الأشياء تتمثل في جدة التشبيهات، وندرتها، وبُعد الاستعارات وغرابتها [١٨].

٣- الضعف في إدراك حقائق الأشياء، أو الأخلاق بنموذجها الذي استحسنته العرب، ويتجلى ذلك في وصف الناقة والفرس، وما إلى ذلك ببعض الصفات التي تُعاب بها عند العرب أصحاب المعرفة الحقيقية بالناقة والفرس[١٩].

٤- الإكثار من المحسنات البديعية [٢٠].

ويعني هذا كله عند الآمدي على التَّكلُّف الذي أفضى بأبي تمام إلى الإكثار من المحسنات وغرائب المعاني، والتراكيب المعقدة، والمبالغات الفاسدة.

ولا يلبث أوار المعركة - التي قامت حول أبي تمام- أن يهدأ، لتظهر معركة جديدة حول أبي الطيب المتنبي، فنجد كثيرًا من المصنفات التي تُذكر كثيرًا من أخطائه وعيوب ألفاظه ومعانيه.

فالحاتمي يكتب «الرسالة الحاتمية» فيما وافق المتنبي في شعره كلام أرسطو، والرسالة المُوْضَحة، وأبو العباس النَّامي يضع رسالة في عيوب المتنبي، ورد بعض نماذجها في المُنْصِف لابن وكيع [٢١] ، والصَّاحب بن عبَّاد يؤلف الكشف عن مساوئ المتنبي، والقاضي الجرجاني يُصنف الوساطة بين المتنبي وخصومه، والتنيسي يكتب المُنْصِف.

وقد كان جهد الحاتمي منصبًّا على عيوب المعنى والصور البيانية[٢٢]، وأخطاء المبنى الشعري[٢٣] والموازنة بين معاني المتنبي وفلسفة أرسطو وبخاصة في الرسالة الحاتمية، ولا جديد في مآخذ الحاتمي على أبي الطيب إلا التحامل المفضول والرغبة في

---

(١٨) المصدر نفسه ص ٢٢٧-٢٤٦.

(١٩) المصدر نفسه ص ٢١١، ٢١٦، ٢٢٤.

(٢٠) المصدر نفسه ص ٢٤٧- ٢٥٨.

(٢١) المنصف في نقد الشعر، ابن وكيع التنيسي، قرأه وعلق عليه د. محمد رضوان الداية، دمشق، دار قتيبة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٣٥، ١٣٥، ١٩٢، ٢٤٠، ٢٤١، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٩٨.

(٢٢) الرسالة الموضحة، الحاتمي، تحقيق د. محمد يوسف نجم بيروت، دار صادر ١٣٥٨هـ/١٩٦٥/ ص ٢١، ٢٣، ٢٤٠، ٣٠، ٣٦، ٤٤، ٦٦، ١٧٠.

(٢٣) المصدر نفسه ص ٢٢، ٢٦، ٣٤، ٦٨، ٧٤٠.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الانتقام.

ولا تخرج عن هذا السياق تلك النماذج التي أوردها صاحب المنصف لأبي العباس النامي، فهي إما قدح في الألفاظ والتراكيب، وإما ذم للسرقة، وإما استعارات بعيدة لا خير فيها.

وجاء الصاحب بن عبَّاد فكانت مساوئ المتنبي عنده هي حوشية اللفظ، وإبهام المعنى، والإسراف في المبالغات، وعدم مراعاة اللياقة، ورداءة التشبيه، وعيوب المطالع، وخلل الأوزان، وقلق القافية [٢٤].

وكان كمن سبقه لا يجد في شعر أبي الطيب إلا اللفظ القبيح، والمعنى الفاسد، والإيقاع الناشز المضطرب.

لكن هذا التحامل ما يلبث أن يختفي في وساطة القاضي الجرجاني الذي عاب بعض ألفاظه المتنبي، وصوره ومعانيه، لكنه كان أمينًا، فتوسط بين الأنصار والخصوم، فمدح وانتصر، وقدح وذم، وحقق ما عجز عن تحقيقه الآمدي الذي مال على أبي تمام، فنجح الآمدي نظريًا، ونجح القاضي الجرجاني نظريًا وعمليًا [٢٥].

ومآخذ القاضي على أبي الطيب، هي ذاتها مآخذ الآمدي على أبي تمام والبحتري من بعد عن الدقة في اختيار الكلمة وغموض في المعاني، وتعقيدات في بناء الكلام، ومبالغات في وصف الأشياء، أو جهل بحقائقها، وما إلى ذلك.

إلا أنه أضاف عيبًا جديدًا اكتشفه في لغة المتنبي هو تشبثه بالشذوذ، ولو أننا دققنا النظر، لوجدنا هذا الشذوذ لا يكاد يخرج عن رغبة من المتنبي في ارتياد آفاق جديدة لم يرتدها أحد من الشعراء.

ولقد عوَّل القاضي في مآخذه على تراث العربية، واتكأ كثيرًا على منهج الآمدي، الذي آمن بأن الشعر نقل مباشر لحقائق الواقع، واحتذاء للتقاليد وبُعد عن التكلف.

وأحكام القاضي ذوقه ومقاييسه تعميمية كبقية البيانيين، تجنح إلى التعليل، وتجمع بين السليقة وروح العلم، وتدل على الخطأ، وتكشف أسبابه، وتتكئ على جهود اللغويين والنحاة، ومعايير عمود الشعر التي نمت بذورها عند الجاحظ وابن قتيبة، وابن طباطبا، واتسع فيها الآمدي فكادت تصل عنده إلى مستوى النظرية المتكاملة.

الخاتمة:

تناول هذا البحث معيار الصحة كمفهوم تشكل في النقد العربي القديم وفي البلاغة

---

(٢٤) الكشف عن مساوئ المتنبي، للصاحب بن عباد، بذيل الإبانة للعميدي، القاهرة، دار المعارف ١٩٦١م، على الترتيب في المتن انظر: الكشف ص ٢٤٠، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٥ وغيرها.

(٢٥) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس ص٣١٦.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

العربية، واستنتج الباحث أن اللغويين والنقاد عبر القرون تفاوتوا في مدى اعتمادهم هذا المعيار على وفق تفاوت منطلقات اجتهادهم، والكشف عن علاقته بقضية عمود الشعر حيث ظل عمود الشعر بما فيه من قيود الوزن والقافية محددا أساسيا للشعر حتى القرن الرابع.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم
٢. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ط٢، ٢٠١٠م.
٣. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، دار الشروق، عمّان، ط٢، ١٩٩٣م.
٤. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع، تحقيق: حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة.
٥. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.
٦. ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق : محمد عبده عزام ، دار المعارف ، القاهرة ،ط٢، د.ت.
٧. الرسالة الموضحة، الحاتمي، تحقيق: د. محمد يوسف نجم بيروت، دار صادر ١٣٥٨هـ/١٩٦٥م.
٨. شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (ت ٧١٦هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
٩. ضرورة الشعر، لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
١٠. الكشف عن مساوئ المتنبي، للصاحب بن عباد، بذيل الإبانة للعميدي، القاهرة، دار المعارف ١٩٦١م.
١١. لسان العرب، لابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ .
١٢. المنصف في نقد الشعر، ابن وكيع التنيسي، قرأه وعلق عليه د. محمد رضوان الداية، دمشق، دار قتيبة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
١٣. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ)، تحقيق: محمد بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م.
١٤. الموازنة بين الطائيين أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، القاهرة، ١٩٤٤م.

Translation of sources and references:

1. The Holy Quran

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

2. Arabic rhetoric, its origins and extensions, Muhammad Al-Omari, Casablanca, East Africa, 2nd edition, 2010 AD.
3. The History of Literary Criticism among the Arabs, Ihsan Abbas, Dar Al-Shorouk, Amman, 2nd edition, 1993 AD.
4. Editing of Inscription in the Making of Poetry and Prose, and Explaining the Miracle of the Qur'an, Ibn Abi Al-Asba', edited by: Hanafi Muhammad Sharaf, Supreme Council for Islamic Affairs, United Arab Republic.
5. The Treasury of Literature and the Heart of the Door of Lisan Al-Arab, Abdul Qadir bin Omar Al-Baghdadi, edited by: Abdul Salam Haroun, Al-Khanji Library, Cairo, 4th edition, 1418 AH - 1997 AD.
6. Diwan Abu Tammam, explained by Al-Khatib Al-Tabrizi, edited by: Muhammad Abduh Azzam, Dar Al-Ma'arif, Cairo, 2nd edition, D. T.
7. The Explained Message, Al-Hatami, edited by: Dr. Muhammad Youssef Najm Beirut, Dar Sader 1358 AH/1965 AD.
8. Explanation of Mukhtasar al-Rawdah, Suleiman bin Abdul Qawi bin al-Karim al-Tawfi al-Sursari, Abu al-Rabi', Najm al-Din (d. 716 AH), edited by: Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, Al-Resala Foundation, 1st edition, 1407 AH / 1987 AD.
9. The Necessity of Poetry, by Abu Saeed Al-Sirafi (d. 368 AH), edited by: Ramadan Abdel Tawab, Dar Al-Nahda Al-Arabiyya, Beirut, 1st edition, 1985 AD.
10. Revealing the Disadvantages of Al-Mutanabbi, by Al-Sahib Ibn Abbad, Dhayl Al-Ibanah by Al-Amidi, Cairo, Dar Al-Maaref 1961 AD.
11. Lisan al-Arab, by Ibn Manzur, Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din al-Ansari (d. 711 AH), Footnotes: by al-Yazji and a group of linguists, Dar Sader - Beirut, 3rd edition, 1414 AH.
12. Al-Munsif fi Criticism of Poetry, Ibn Waki' al-Tanisi, read and

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

commented on by Dr. Muhammad Radwan Al-Daya, Damascus, Dar Qutaiba, 1402 AH/1982 AD.
13. Minhaj al-Balagha and Siraj al-Adabā', Hazem al-Qartajani (d. 684 AH), edited by: Muhammad bin al-Khawja, Dar al-Kutub al-Sharqiya, Tunisia, 1966 AD.
14. The Balance between the Ta'is Abu Tammam and Al-Buhturi, Abu Al-Qasim Al-Hasan bin Bishr Al-Amdi (d. 370 AH), edited by: Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid, 1st edition, Cairo, 1944 AD.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898